المبحث الثالث

في شمال افريقيا

العمارة العباسية في شمال افريقيا

لم تكن بلاد المغرب وشمال افريقيا بعيدة عن التأثر باساليب العمارة ولقد رأينا اثر هذه العمارة في القطر المصري وعلى وجه الخصوص في العهد الطولوني • وكما كان الطولونيون على صلة بالعباسيين فان اسرة بني الاغلب في تونس كانت على اتصال وثيق وصلات متينة بالعباسيين اذ ان الخليفة العباسي هرون الرشيد هو الذي اقطع بني الاغلب المغرب الادنى بغية اقامة امارة قوية تستطيع الوقوف امام الحركات السياسية المناهضة للحكم العباسي في مغرب العالم الاسلامي • ولقد نتج عن التقارب السياسي والعسكري بين عاصمة الدولة العباسية وامارة الاغالبة ، ان انتقلت بعض الاساليب الفنية العباسية الى شمال افريقيا على يد بني الاغلب في الفترة التي حكموا فيها (١٨٤ ــ ٢٩٦هـ / ٨٠١ ــ ٩١٣م) •

اسس ابراهيم بن الاغلب عاصمة جديدة اطلق عليها اسم العباسية تقع على بعد ثلاثة أميال الى الجنوب الشرقي من القيروان ، وعرفت باسم القصر الابيض ، وباسم القصر القديم فيما بعد • واهتم الاغالبة ببناء القصور واقامة القناطر • وقد هدم زيادةالله بن الاغلب ، ثالث امراء الاغالبة ،

Scanned by CamScanner

جامع القيروان في عام ٢٢١ هجريه (٨٣٦م) واعاد بناءه . وتعد مئذنة جامع القيروان من اقدم المآذن القائمه اليوم في شمال افريقيا والتي ترجع اقسام منها الى العصر الاموي واقسام اخرى الى العصر العباسي . ولعل من ابرز الظواهر المعماريه في جامع القيروان التي ادخلت عليه بعد انشائه على يد الاغالبة القبة الجميلة القائمه امام المحراب في البلاطة الوسطى لبيت الصلاة .

واهتم الاغالبة كثيرا بمدينة تونس وأولوا أهتمامهم الكبير بالمسجد الجامع فيها وهو المعروف بمسجد الزيتونة ، الذي امسى من العمائر الاسلامية المهمة خلال فترة حكمهم . وحظيت مدينة سوسه ايضاً برعايتهم فشيدوا فيها البناء المعروف بالرباط وذلك سنة ٢٠٦ هجريه (٨٢١م) ، ولعل ابرز الاثار التي خلفها الاغالبة في مدينة سوسه هو مسجد ابي قتاته الذي شيّد بين عامي ٢٢٣ـ٢٢٦ هجريه (٨٣٨ ـ ٨٤١م) .

ومن المدن المهمه التي مصّرت في الفتره العباسيه مدينة فاس التي تم بنائها ادريس الثاني سنة ١٩٠ هجريه (٨٠٦م) وذلك في ظل حكم اسرة الادارسة. وتعد مدينه فاس من المدن التي تتميز بكثرة العمائر المنسوبه الى مختلف العصور الاسلاميه . والتي من اهمها بلا ادنى ريب مسجد القرويين الذي بني سنة ٢٤٥ هجريه (٨٥٩م) .

ومن المدن المهمة جداً التي تتميز بكثرة الابنية الاثرية الاسلامية لفاً مدينة مراكش . تقد مصّرت مدينة مراكش سنة ٤٥٤ هجرية (١٠٦٢م) ومما تشتهر به هذه المدينة اليوم مسجد الكتبيه الذي شيده عبدالمؤمن بن علي (٥٤٥ـ٥٥٨هـ / ١١٥٠ـ١١٦٢م) ، ويعتبر هذا المسجد من المباني الاسلامية الدينيه الجميله خاصة مئذنته ذات الطابع المعماري والزخرفي المتميز .

Scanned by CamScanner

المبحث الرابع

العمارة العباسية في ايران

لقد ازدهرت في الهضبة الايرانية قبل الاسلام حضارات عريقة راسخة، وتعتبر اخر تلك الحضارات قبل الفتح العربي الاسلامي الحضارة التي نمت وترعرت في ظل الدولة الساسانية والتي دامت مايزيد على اربعة قرون من الزمن • للفتح العربي الاسلامي لايران اثر لا يدانيه فتح اخر في تاريخ هذا الاقليم، وهو بلا شك اعمق اثرا من فتح الاسكندر المقدوني لها في القرن الرابع قبل الميلاد • فالعرب المحررون قوم عمرت قلوبهم بالايمان وتحلوا بالشجاعة والاقدام ، وقد ادركوا بما فيهم من حكمة طبيعية موروثة انهم في حاجة الى معونة سكان البلدان المفتوحة من اصحاب الحضارات القديمة فافادوا واستفادوا من تلك الشعوب اكبر فائدة • وسرعان ما اندمج الشعب الايراني اندماجا شبه كلي في الحضارة العربية الاسلامية الجديدة• وبعد مدة من التحرير العربي اصبحت ايران في طليعة الاقاليم الاسلامية عناية بالفنون والعمارة في عصرها الجديد ، العصر العربي الاسلامي •

لقد قسم اختصاصيو العمارة الاسلامية العمارة في ايران في العصر الاسلامي الى اربعة حقب متميزة • الحقبة الاولى التي تبدأ بالفتح العربي الاسلامي لايران وتنتهي بنهاية القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) •

Scanned by CamScanner

والحقبة الثانية تبدأ ببداية القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وتنتهي بنهاية العصر العباسي في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، والفترة الثالثة تبدأ من بداية العصر المغولي في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وتنتهي بنهاية العصر التيموري في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) • والفترة الرابعة والاخيرة تبدأ مع العصر الصفوي في القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) وتنتهي بالعصر القاجاري في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) • وسوف تتناول باختصار في هذا الكتاب الحقبتين الاولى والثانية[1] •

يتبين من دراسة المخلفات المعمارية للحقبة الاولى ، و هي نادرة جدا اذ لم يبق من عمائر تلك الحقبة الا أطلال يسيرة لا تتناسب مطلقا مع ماكتبه لنا الجغرافيون العرب مثل ابو الفدا وابن حوقل وغيرهم من ان ايران كانت عامرة بالمدن الكبيرة الغنية بالعمائر العظيمة ، الا ان هناك ما يشير بشكل واضح الى ان العمارة الايرانية كانت لا تزال تتميز بوجود بعض المؤثرات الساسانية الموروثة • من ذلك مثلا ميل الايرانيين الى الاستعانة بالبناء بالاجر بدلا من الحجر مع ان الحجر متوفر في كثير من الاقاليم الايرانية ، والسبب الذي حمل الايرانيون على استخدام الاجر كما يبدو هو خفته ورخص ثمنه والسهولة في استعماله ، ومع ذلك فقد شيد الايرانيون ايضا بعض العمائر في العصور الاسلامية بالحجر ولكن ذلك كان نادرا جدا •

وتتميز المخلفات المعمارية القليلة التي ترجع الى الحقبة الاولى بالبساطة والتشابه مع المخلفات المعمارية في الاقاليم الاسلامية الاخرى التي ترجع الى نفس العصر ، خاصة اقليم العراق • فمن اقدم تلك المباني المسجد الجامع

---

(١) زكي محمد حسن ، الفنون الايرانيه في العصر الاسلامي ، ص ٦ •

Scanned by CamScanner

المعروف بجامع (تاريخ خانه) في مدينة دمغان ، والذي يرجع في تاريخه الى القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) . لقد حدد الكثير من اختصاصي العمارة الاسلامية تاريخ هذا الجامع بالفترة الزمنية الواقعة بين سنة ١٣٢ هجرية (٧٥٠ م) اي قبيل نهاية عصر الدولة الاموية وسنة ١٧٠ هجرية (٧٨٦ م) وهي السنة التي تولى فيها هرون الرشيد الخلافة[١] .

ان هذا المسجد الجامع صغير نسبيا وبسيط في تخطيطه (شكل ٤٨) . طوله من الشمال الى الجنوب ٤٧ مترا وعرضه من الشرق الى الغرب ٣٦ مترا. يتألف المسجد من بيت صلاة يضم ثلاثة اساكيب متوازية مع جدار القبلة يحددها ثلاثة صفوف من الاكتاف في كل صف منها ستة اكتاف . وفي كل من المجنبتين والمؤخرة رواق واحد يحددها صف من الاكتاف . وسقوف هذا المسجد الجامع من الخشب تحملها أقواس مدببة (شكل ٤٩) . كما ان للمسجد ثلاثة مداخل موزعة على الاضلاع الشمالية والشرقية والغربية .

ومن المساجد الجامعة الاخرى التي ترجع الى نفس الحقبة الزمنية المسجد الجامع في مدينة (تايين) .لقد شيد هذا الجامع حوالي سنة ٣٥٠ هجريه (٩٦٠ م) .

ان طول المسجد من الشمال الى الجنوب ٣٦ر٢٥م وعرضه من الشرق الى الغرب ٤٦ر٢٥م وبيت الصلاة فيه يشبه بيت الصلاة في جامع (تاريخ خانة)، حيث يضم ايضا ثلاثة اساكيب غير ان المجنبتين الغربية والشرقية أوسع بكثير من مجنبات الجامع المذكور . وفي المجنبة الشرقية اربعة اروقة وفي المجنبة الغربية ثلاثة ، اما المؤخرة فقوامها رواق واحد (شكل ٥٠)[٢] .

---

(١) Pope, the Survey of Persian Art, vol. III, p. 933

(٢) Ibid., vol. III, p. 933

Scanned by CamScanner

ان قوام السقوف في هذا المسجد قبوات نصف اسطوانية تقوم على عقود مدببة كما ان للمسجد ستة مداخل موزعة على الجدران الغربية والشرقية والشمالية • ان معظم مايتميز به جامع نايين هو زخارفه الجصية المتنوعة والتي تحلي كثيرا من اقسامه الداخلية بما في ذلك الاكتاف •

والواقع ان زخارف جامع نايين تشبه الى درجة كبيرة زخارف سامراء الجصية وهي بلا شك متطورة عنها (شكل٥١) •

ومن المساجد الجامعة الاخرى التي ترجع الى هذه الحقبة الزمنية المسجد الجامع في مدينة شيراز المشيد في سنة ٣٦٣ هجريه (٩٧٣م) •

ومن الابنية المهمة الاخرى التي ترجع الى اواخر الحقبة الاولى ، مشهد السلطان اسماعيل الساماني في مدينة بخارى • والمعروف ان اسماعيل الساماني هو المؤسس لحكم الاسرة السامانية • ويعتبر هذا المشهد اقدم المشاهد التي وصلتنا من ايران وثاني مشهد من المباني الاسلامية التي وصلتنا بعد قبة الصليبية في سامراء والتي تضم ، كما يظن قبر ثلاثة من خلفاء بني العباس • كما سبق ومر بنا • والبناء ذو هيكل مربع تعلوه قبة نصف كروية • وفي الجزء العلوي من كل جدار من جدرانه الاربعة عشر نوافذ للانارة • كما ان للمشهد اربعة مداخل موزعة على الجدران الاربعة (شكل٥٢) • ويتميز هذا المشهد ايضا بالزخارف الاجرية المتنوعة الناتجة استخدام حجوم مختلفه من الاجر في البناء وعن التلاعب في وضع تلك الاجرات بشكل يضفي طابعا زخرفيا خاصا (شكل ٥٣) • ان حفر الزخارف في الاجر لم يعرفه الفن الاسلامي بعد •

وليس لدينا مبان مهمة اخرى ترجع الى الحقبه الاولى من الحكم العربي الاسلامي كالقصور والجسور وغير ذلك •

Scanned by CamScanner

واذا انتقلنا الى دراسة المخلفات معمارية للحقبة الثانية فان أهم المساجد الجامعة التي يرجع اليها المسجد الجامع لمدينة اصفهان ، وهو المسجد الذي شيد في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). ويعتبر هذا المسجد من المساجد الكبيرة المتميزة بشيء من التعقيد والسبب يعود بالدرجة الاولى الى الزيادات التي اضيفت اليه على مر العصور من جهة ، والى العناصر معمارية الجديدة التي ادخلت على المساجد الجامعة في تلك الحقبة الزمنية من جهة أخرى (شكل ٥٤) .

ان من اهم العناصر المعمارية الجديدة التي ادخلت على جامع اصفهان الافراط في استخدام القباب ففي هذا المسجد مالا يقل عن مئة من القباب الكبيرة والصغيرة كذلك استخدام الاواوين لاول مرة في بناء المسجد ، فهو يضم اربعة ايوانات كبيرة يقع كل واحد منها في منتصف الواجهات الداخلية لبيت الصلاة الثلاثة الاولى والمؤخرة وهي تطل جميعا على الصحن . كما يتميز هذا المسجد ايضا بالدلايات او المقرنصات خاصة في سقوف الاواوين الاربعة (٤) .

يعد الجامعة التي ترجع الى هذه الحقبة ايضا المسجد الجامع في ... ان والذي لا يختلف في تخطيطه عن المسجد الجامع لمدينة ا...

لنا هذه الحقبة ايضا العديد من المشاهد اغلبها للامراء وللاولياء ين عاشوا وماتوا في ايران . ولا شك ان اقدم هذه المشاهد هو طان قابوس بن وشمكير في اقليم جرجان شرق ايران . وقد لمشهد ابان حياته وذلك في سنة ٣٩٧ هجرية (١٠٠٦م) كما تشهد تابة التذكارية التي تعلو المدخل . والبناء مشيد بالاجر مرتفع جدا جمي الشكل وتعلوه قبة مخروطية (شكل ٥٦) .

Pope, The Survey of Persian Art. vol. 3 p. 211.

Scanned by CamScanner

ان غالبية المشاهد الايرانية العباسية شيدت ضمن الفترة الزمنية المحصورة بين القرن الخامس والقرن السابع الهجري (١١–١٣م) • وهي جميعا مرتفعة نسبيا ، هياكلها ، اما مربعة او مثمنة او دائرية المقطع تعلوها قباب بعضها مخروطية وبعضها مضلعة وهي مزينة بشكل عام بزخارف معمارية متنوعة ، وللمشاهد جميعا مدخل واحد فقط يقع على الاغلب في الجهة الشمالية • واكثر هذه المشاهد مشيدة بالاجر ، والقليل النادر منها بالحجر •

ولم تخلف لنا تلك الحقبة قصورا او ما شابه ذلك • غير ان العمائر التي خلفها لنا العصر العباسي في ايران نادرة جدا وهو أمر غريب جدا خاصة اذا علمنا ان الهضبة الايرانية في ذلك العصر كانت زاخرة بالمدن الكبيرة العامرة • وربما ان السبب الاساس في ندرة المباني يرجع الى الغزو المغولي المدمر لايران في منتصف القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) • ثم الغزو المدمر الثاني الذي قام به السفاح تيمورلنك والذي اعقب غزو المغول بنحو قرنين من الزمن • فمن المفيد ان نذكر هنا ان هنالك مدنا ازيلت من الوجود كليا على يد المغول منها مدينة الري في وسط ايران ومدينة بلخ شرقي ايران • فلا غرابة والحالة هذه ان لا نجد كثيرا من العمائر التي ترجع الى تلك الحقبتين الزمنيتين من تاريخ ايران في العصر الاسلامي •

Scanned by CamScanner